مقياس: عمران

المحاضرة 02: تاريخ التعمير (l'histoire de l'urbanisme):

Boulaksa Leila

مقياس: عمران

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
University of Larbi Ben M'hidi Oum El-Bouaghi

المقياس: عمران Urbanisme **الوحدة: UE Fondamentale UEF22**

المستوى: سنة أولى ليسانس تهيئة الإقليم **السداسي الثاني: 2024-2025**

المحاضرة02: تاريخ التعمير (l'histoire de l'urbanisme):

أهداف المحاضرة:

تهدف هذه المحاضرة الى تحليل العلاقة بين العمران والمجتمع عبر العصور من خلال مقارنة المدارس التخطيطية الرئيسية والحضارات الغابرة التي تركت مدنا لا تزال معالمها بارزة ليومنا هذا، بسماتها ومميزاتها التي تختلف من حضارة الى اخرى من مكان الى آخر.

مقدمة:

تعددت نماذج التخطيط وتباينت من عصر إلى أخر ومن حضارة إلى أخرى حسب اختلاف خصوصية الأقاليم التي استقرت فيها هذه الحضارات وكذا اختلاف معتقداتهم وأولوياتهم التخطيطية إضافة إلى رؤيتهم عن التخطيط الحضري وإنشاء المدن حيث استند التخطيط إلى اعتبارات دينية واستراتيجية وأخرى دفاعية، كما أن التخطيط ارتبط ارتباطا وثيقا مع احتياجات الشعوب وتزايد متطلباتهم وكذا تطور مستوى وطريقة عيشهم.

3-1-التخطيط الحضري عند الفراعنة:

يعتقد أن الحضارة في وادي النيل تعود نشأة التجمعات الحضرية مند عام 3100 قبل الميلاد في مدن ملكية مثل ممفيس وطيبة **(ابو قرين، 2020)**، كما تعتبر الحضارة الفرعونية من أقدم الحضارات الإنسانية التي عرفت أول أشكال الاستقرار الحضري، أين حصل الانتقال على ضفاف النيل وعرفت هذه الحضارة أول أنواع التخطيط الحضري فعلى سبيل المثال تعد المدينة كاهون ،Khun من أقدم المدن المصرية التي عرفت التخطيط ، فقد صممت من أجل غرض معين هو إيواء عمال بناء اللاهون في مصر عام ثلاثة ألاف قبل الميلاد ...). **(والي، 1983)**، " وقد ارتبطت المدن المصرية الباكرة بالدين الذي يمكن اعتباره عنصر التمييز الرئيسي بين المدينة والقرية في مصر القديمة، فقد كان المعبد يمثل مركز

الحياة والعمران في المدينة المصرية، ومن حوله كانت المدينة تنمو وتمتد مساحتها وتدور صور الحياة فيها" **(اسماعيل، 1988)**، وبذلك يعتبر المصريين أول من قام ببناء المدن بجوار المعابد والأهرامات **(أبوعيانة، 2006)**. وشكل ذلك أحد الاختلافات الجوهرية في تخطيط المدن المصرية ففي حين يتوسط المدينة المصرية المعبد الرئيسي وقصر الفرعون فان المدن المعاصرة لها كانت تتوسطها القلعة. أما الاختلاف الثاني فإن معظم المدن المصرية تخلت عن التسوير أي أنها كانت غير محصنة، نظرا لأن البيئة الطبيعية لمصر تكلفت بالحماية حيث مثلت التلال والصحراء السور الحقيقي حول مصر كلها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العقيدة المصرية القائمة على أن الملك هو الإله، وهو الحامي المنقذ جعل فكرة السور غير واردة، كما كان الحال في مدينة تل العمارنة والتي غاب فيها السور واستبدل بالأحجار الحدودية. **(محمد مدحت جابر، 1985)**.

❖ **العوامل المؤثرة في تخطيط المدن المصرية :**

- **نهر النيل والقنوات المائية** :حيث اعتُبر النيل شريان الحياة للنقل والتجارة، كما ساعد على خصوبة الأراضي مما انعكس في اختيار مواقع المدن وتحدد أنماطها العمرانية.
- **المناخ** :ارتفاع درجات الحرارة وسطوع الشمس وقلة الأمطار أديا إلى تصميم شوارع ضيقة ومساكن مبنية بجدران سميكة للحفاظ على البرودة.
- **الاستقرار السياسي** :ساعد الحكام على الاهتمام بالعمران دون تعرض للاضطرابات الحربية، مما أدّى لتقسيم المدن إلى ربعٍ للطبقة الحاكمة، وآخر للدفاع، ومدن تنشأ تلقائيًا على الأراضي المزروعة، بالإضافة إلى مدن خاصة بالعمال مثل تل العمارنة.

❖ **خصائص المدينة المصرية القديمة:**

- كانت المدن المصرية مزينة برمز هرمي يمثل سورًا دائريًا، وتقسم مفاهيم المدينة بين "مدينة الحياة " على ضفاف النيل و"مدينة الخلود" (الأهرامات) .
- كانت الشوارع الرئيسية تندثر من الشمال إلى الجنوب، وتضم مساحات مميزة للمعابد والقصور، بينما كانت الأحياء تنقسم حسب الطبقات الاجتماعية.

3-2- المدن في حضارة ما بين النهرين (العراق القديم)

(من الألف الثالث قبل الميلاد إلى سنة 562 م – مدينة الحدائق المعلقة)

شهدت حضارة ما بين النهرين، والتي ازدهرت في العراق القديم بين نهري دجلة والفرات، ظهور بعض من أقدم وأهم المدن في التاريخ. هذه المدن كانت مراكزًا للحضارة، والتجارة، والدين، والسياسة. و من أشهر مدن هذه الحضارة نجد: مدينة أور *(Ur)* حوالي *2112–2004 ق.م*، نينوى(Nineveh) ، بابل (Babylon)، آشور (Assur) .

❖ ***التقسيم الوظيفي للمدينة :***

- المدينة الداخلية :المكان السكني الرئيسي للسكان.
- المدينة الخارجية أو الضاحية :تحتضن الحقول وحدائق النخيل وحظائر الماشية، وتكون محاطة بأسوار.
- الثغر :يمثل مركز النشاط التجاري ويتميز باستقلالية إدارية خاصة.

❖ ***العناصر التخطيطية :***

- يتمركز معبد الآلهة في قلب المدينة، ويبرز من خلال الزقورة التي تصل إلى ارتفاع يقارب 90 مترًا، محاطة بمقر الحاكم.
- تُقسَّم الشوارع بطريقة منظمة بين رئيسية وفرعية، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثيرات المناخ كتواؤم اتجاهاتها مع الرياح.
- تشتمل التخطيطات على أسوار تحيط بالأحياء ويُخصص لكل حي بوابة خاصة به، إلى جانب شبكات توزيع المياه وأنظمة تصريف فعالة.

❖ ***الحدائق المعلقة:***

تُعد من أبرز معالم مدن بلاد الرافدين، حيث بُنيت على مصاطب مرتفعة وغطت بالأشجار والنباتات وتم تزويدها بالمياه عبر تقنيات بدائية.

3.3. التخطيط الحضري في العصر الإغريقي والروماني: من سنة 2600 ق.م إلى 338 ق.م – *مدينة الفلاسفة*

تعبر المدن اليونانية والرومانية شاهدا على مرحلة جديدة ومتطورة من تخطيط المدن، فبعد أن عرفت مناطق بلاد الرافدين وما بين النهرين وبلاد الهند والسند والصين جاء الدور على بلاد الإغريق والرومان لتحمل مشعل الحضارة فأصبحت جزر بحر ايجة والفرات واليونان مراكز إشعاع حضري، كان نواته عبارة عن دويلات صغيرة ثم تطورت لتصبح إمبراطوريات بعد أن توسعت على ظهيرها المباشر ثم انتقلت إلى مجالات مكانية أوسع إلى إن وصلت إلى الوسع خارج القارة الأوروبية **(اسماعيل، 1988)** .

3-3-1-المدن اليونانية:

تميزت الحضارة اليونانية بتطورها السياسي والذي تمخض عنه ظهور ممالك المدن اليونانية، والتي تمثلت في أربع ممالك مدينيه كبرى تقاسمت السيادة على بلاد اليونان أهمها مدينتي اسبرطه وأثينا، **(علي عكاشة وآخرون، 1991)**. بداية ظهرت هذه المدن بمظهر عمراني بسيط إلا أن تطور الفن المعماري والاهتمام بالمعابد من حيث الموقع والزخرفة ومواد البناء وتطور العلوم وظهور مختصين في الهندسة المعمارية كان له الفضل والأثر الأكبر في وضع أسس تخطيط المدن الإغريقية، حيث تضمنت مخططات المدن اليونانية طرق واسعة ومستقيمة وتوسطت هذه المدن ساحات رئيسة وكان تخطيط الشوارع متعامدا مشكلا أشكال متنوعة تكونا أحيانا مربعة مشابهة لرقعة الشطرنج لذلك سميت **(Boord Cheker)** أو مستطيلة يطلق عليها اسم **(Gridiron)**، وكانت هذه الأشكال تحوي بنايات الاستعمال السكني، وتنتهي الشوارع العريضة إلى الساحة أو الميدان الرئيسي والذي كان يطلق عليه اسم أجورا **(Agora)** مركز النشاط التجاري وتجمع السكان وإقامة الحفلات وكذا الاستعمال السياسي **(الدليمي، 2002)**.

"ولعل أبرز الأسماء التي ارتبط (ارتبطت) بفن التخطيط في العصر القديم هو **هيبوداموس(Hypodamus)** وهو مهندس معماري يوناني، كان أول من أدخل نظام الشوارع الواسعة، المستقيمة كذلك كان أول من اهتم بمبدأ الحجم المناسب في عملية البناء، واجتهد في تحديد الإجراءات الخاصة بتوحيد المناطق المجزأة على هيئة متناسقة وتمر حول السوق".

تعد مدينة أثينا أكثر المدن الأوروبية القديمة أثرا من الناحية الحضارية، حيث تقع في سهل أتيكا**(Attica)** الأوسط، محاطة بالمرتفعات من كل الجوانب ما عدى الجنوب الذي يتصل بالبحر على

بعد حوالي 10 كلم، وتميز المدينة أثينا بأنها كانت مقسمة إلى ثلاثة أقسام أولها الأكروبوليس و أحيانا يسمى بوليس **(polis)** وهي القلعة أو المدينة الأصلية وثانيها المدينة العليا، وثالثها الميناء **(pieraeeus)** وكان يحيط بالميناء التحصينات ويربطها بالمدينة العليا أسوار طويلة، **(اسماعيل، 1988)**.

3-3-2-المدن الرومانية:

تميزت الحضارة الرومانية كونها حضارة عسكرية بامتياز حيث لعبت الحروب وفنونها دور المقوم الاقتصادي لها، وعليه كان من الطبيعي أن تهتم بعناصر الدفاع والحماية، فقامت بتعزيز البناء والهندسة العسكرية يتجلى ذلك في بناء الحصون والقلاع الضخمة، كما عمدت إلى تطوير مجال إنشاء الطرقات والجسور حيث عرفت تطورا ملحوظا في هذا المجال، بغرض تسهيل حركة الجيوش الرومانية خلال الحروب والغارات على المجتمعات الأخرى، وكنتيجة لذلك كان البعد الوظيفي في استخدام الأرض الحضرية أبرز ما اتسم به التخطيط الروماني للمدن، حيث كان لتحصين المدن الرومانية الأولوية قبل التفكير في الجوانب الاقتصادية الاجتماعية، فحتى المسارح والمراكز الثقافية كانت تستخدم كساحات للمواجهات والصراعات الحربية أو الاستعراض العسكري **(رشوان، 2005)**.

"كانت المدن الرومانية تأخذ غالبا شكل مستطيل أو مربع، وغالبا ما كان يقطع المدينة طريقان رئيسيان يتعامدان على الجهات الأصلية وتتقاطع معهما الشوارع الفرعية، وهي نفس فكرة التخطيط الشبكي، وفي الميدان الرئيسي يوجد الفوروم (Forum)، وهو الميدان الذي يمثل قلب (المدينة) الرومانية، وفيه يوجد المعبد والأسواق ومراكز الحكم والإدارة**"** **(اسماعيل، 1988)**.

- **السمات المميزة للمدن في العصر الإغريقي والروماني:**

نمت المدن اليونانية حول مراكز حضارية مثل أثينا المطلة على بحر إيجة، حيث شهدت ارتفاعاً ملحوظاً في عدد السكان.

- **دور الفلاسفة والتخطيط الحضري:**

لعبت مفاهيم أفلاطون الذي حلم بإنشاء مدينة فاضلة وحث تلميذه أرسطو على تحديد حجم يسمح بمشاهدة المدينة بأكملها، مما ألهم بروز المخططات الإقليمية وإنشاء مدن ثانية متفرعة.

- **التفاعل مع الطبيعة:**

تمتاز المدن الإغريقية بمحاولة دمج البُنى مع الطبيعة واستخدام مواد بناء كالرخام. كما ساهم مناخ البحر المتوسط المعتدل في تأثيرات جمالية مثل المسارح المفتوحة والحدائق ذات التصميم الفريد.

❖ **العناصر التخطيطية :**

- **الأكروبول:** القلعة أو الحصن الموجود على أعلى هضبة ويضم المراكز السياسية والدينية.
- **الأغورا:** ساحة الاجتماع المركزية التي تُعتبر مركزاً للتبادل الاجتماعي والتجاري.
- **الشوارع:** في البداية كانت الشوارع ضيقة ومتعرجة، حتى ظهر المخطط الهيبودامي الذي اعتمد نظام المخطط الشبكي لتنظيم الفضاء الحضري.
- **الآراء المختلفة حول الأسوار:** حيث رأى أفلاطون أن غياب الأسوار يشجع على شجاعة السكان، بينما اعتبر أرسطو وجودها ضروري للجانب الدفاعي والجمالي.

3-4-التخطيط الحضري في العصور الوسطى:

شهد النمو العمراني في العصور الوسطى نموا بطيئا، وتميز المدن بضيق الطرقات التي تتخلل النسيج الحضري وتربط أجزاء المدينة ببعضها، كما تميزت هذه الطرق بتدرجها وعدم انتظامها مع ارتباطها بالساحات، كما كانت البنايات محاذية للطرقات المفتوحة على المجال العمومي، كما احتفظت المدن خلال هذه الفترة بالسور لغرض الدفاع والحماية **(لطرش، 2012)**.

" ارتبط الفن المعماري في هذه المرحلة في أوروبا بحالة من الركود الاقتصادي الذي عرفته أوروبا خلال القرون الوسطى، وحتى إن كشفت الآثار العمرانية على عظمة إنجازات الفن المعماري الأوروبي في مجال الكنائس و الأديرة المسيحية إلا أن النظام الاقتصادي الذي ساد أوروبا في تلك المرحلة عرف بالنظام الإقطاعي القائم على النشاط الزراعي لذا لم تنمو المدن بشكل كبير، حيث ظلت مدن ذات أحجام سكانية بسيطة، فلم تعد المدينة هي المركز، بل كانت الضيعة أو الحصن والقلعة مركز السيطرة والضبط" **(بن مهني، 2020)**.

في المقابل فان "حياة المدن ازدهرت في بلاد العرب والمسلمين بفضل ما جددوه و أحيوه من مدن الرومان السابقة و ما أنشأوه من مدن جديدة أضيفت إلى المدن السابقة و اختاروا لها مواقع مميزة وضخموا أحجامها بشكل لم تشهده الأعصر (العصور) السابقة واللاحقة حتى الفترة الحديثة حتى ليمكن القول أن المدينة العربية بلغت ذروة مجدها وأصالتها وعظمتها في ظل الدولة الإسلامية" **(وهيبة، 1980)**.

ظهرت الصورة العامة للمدينة الإسلامية على شكل " كتلة متلاحمة الأجزاء تلزم مبانيها بارتفاع يكاد يكون ثابتا في ما عدا المساجد التي ترتفع مآذنها في السماء، وتعبر مساحات الظلال الكبيرة التي تغطي المدينة عن الهيكل المعماري بأبنيتها المتداخلة وأفنيتها المتعددة التي تستقطب حياة السكان إلى الداخل،

وكثيرا ما تظهر الأسواق المغطاة وهي تمتد في خطوط انسيابية معبرة عن محاور الحركة في الأحياء المختلفة" **(عبد الباقي ابراهيم، 1982)**.

يمثل الجامع المسجد المركز والنواة التي يتكون حولها العمران، وهو ما يتماشى مع الأفكار الاسلامية في اعتماد الدين كمحور اساسي في الحياة. فالمسجد لا يشكل داراً للعبادة وحسب ولكن مركزا سياسياً، اجتماعياً وحضارياً فهو المؤسسة الدينية والثقافية التي تستوعب الفعاليات الدينية والتعليمية والثقافية، وهو المكان الذي تحتكم فيه الفئات المختلفة من المجتمع الحضري مع بعضها، (الكناني، 2006).

3-5-التخطيط الحضري في عصر النهضة:

شهد هذا العصر تطورا في الفن المعماري، و أصبح على إثره ينظر إلى المدينة على أنها منتوج فني، فنتج عن هذا الفكر تغير واضح في مورفولوجية المدن وتصميمها الذي أصبح يخضع إلى معايير فكرية وإيديولوجية، وظهر تصور إيديولوجي مثالي للمدينة المستقبلية **(لطرش، 2012)**. فخلف هذا العصر بصمات هائلة على الهندسة المعمارية وتخطيط المدن الأوروبية، التي عرفت انتعاشا اقتصاديا في هذه الفترة، حيث عمد المشتغلون في التخطيط الحضري والبناء إلى هدم الأسوار والحظائر والحوانيت الخشبية والمنازل، وتم استبدالها بقصور النبلاء والمباني العامة الحكومية، فظهر ت الشوارع مستقيمة و واجهات المباني متناسقة وأصبح التخطيط العمراني أكثر تنظيما **(رشوان، 2005)**.

3-6-التخطيط الحضري في العصر الحديث:

ارتبطت نشأة المدن وتطورها خلال هذه المرحلة ارتباطا وثيقا بعاملين أساسيين : أولهما التطور الزراعي الذي كان له آثار بعيدة في زيادة عدد السكان وكذا تضخم حجم المدن، حيث أن تطوير قطاع الزراعة وأساليب زيادة الإنتاج عن طريق استخدام الأسمدة وإتباع الدورات الزراعية واستخدام الآلات الحديثة أدى تحسن الإنتاج وتنوعه وانخفض بذلك اعتماد القطاع الفلاحي على أعداد كبيرة من الأيدي العاملة التي توجهت في المقابل إلى القيام بأعمال غير الإنتاج الفلاحي فكان التوجه إلى المدن التي أصبحت بفضل تطور أساليب النقل تحصل على حاجياتها من الغذاء والمواد الخام من أماكن بعيدة بسرعة ودون تلف حتى أصبحت هذه المدن في أمان مما ساعدها على التوسع والتضخم بكل أريحية خاصة في ظل التطور الصناعي **(وهيبة، 1980)**.

أما العامل الثاني لنشأة المدن وتطورها خلال العصر الحديث فتعلق بالثورة الصناعية والتحول الجذري في الأساس الوظيفي للمدن، حيث أن ظهور التصنيع في المدن والمراكز الحضرية نتج عنه نزوح ريفي كبير نحو هذه المدن، مما أذى إلى تضاعف أعداد سكان هذه المدن ثلاث وأربع مرات مما أذى إلى نمو عمراني خاصة في مدن المجتمعات الغربية وفي بقية مدن العالم بطريقة غير مباشرة، حيث أصبحت دول العالم تتبادل السلع والبضائع بطريقة لم يعدها العالم من قبل، فحدث نمو عمراني في هذه الدول والمجتمعات لم تعرف له مثيلا في التاريخ ، هذا النمو كشف بوضوح عن خصائص عمرانية مختلفة إلى حد كبير عن خصائص مدن العصور الوسطى **(السيد، 2001)**.

تميز مدن هذه الفترة بداية بتوسعها دون ضوابط تخطيطية، حيث ظهرت مستوطنات جديدة وامتدت على طول شبكات الطرق، كما أن ظهور القطارات كأبرز وسائل النقل الحديث ووصول السكك الحديدية إلى داخل المدن، بعث الفوضى في استعمالات الأرض، فانتشرت المصانع في هذه المدن وتجمعت المباني حول هذه المصانع مكونة أحياء سكنية ترتفع فيها الكثافة العامة وتنعدم فيها الشروط الصحية من سوء التزود بالمياه، وصعوبة نقل النفايات، وكذا انتشار الملوثات الصناعية بكل أنواعها، فتأثرت الصحة العامة وأدت إلى حدوث خسائر مادية وبشرية. كذلك تميزت مدن هذه الفترة بظهور التوسع العمودي نتيجة تطوير أساليب وتكنولوجيات البناء والتي ساعدت بدورها على ظهور المدن الضخمة والمزدحمة **(كمونة، 2006)**.

"مع بداية القرن العشرين، ظهرت ما يسمى بالمدن الميتروبوليتانية، وهي مدن ضخمة يتراوح عدد سكانها بين الخمسة ملايين والخمسة عشر مليون، وقد ظهرت هذه المدن في الدول المتقدمة والدول النامية بآسيا وإفريقيا، فقد أدى الاتصال بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة إلى ظهور مستويات عالية من الاستهلاك انعكس على مدن البلدان النامية، فهناك مدن مثل البرازيل ونيروبي ونيودلهي وأنقرة وكولومبو، لم تمر بثورة صناعية كما هو الحال في مدن غرب أوروبا، ومع ذلك فأنماطها الإيكولوجية وأساسها التكنولوجي ونشاطها الاقتصادي يعكس مظاهر القرن العشرين" **(رشوان، 2005)**.

"تعتبر هذه المرحلة مرحلة الظهور الحقيقي للعمران على يد المهندس سيردا الذي كلف بإعداد مخطط لتوسع مدينة برشلونة، اعتبر أن تعمير المدن هو مجال دراسي مستقل ومبني على أسس علمية كبقية العلوم وقام بتطوير الجانب النظري للعمران وظهر المفهوم الحالي للعمران، بالإضافة إلى الأعمال التي قام بها هوسمان بتجديد طرق مدينة باريس، وقد أصبح الاهتمام بعنصرين أساسيين هما الشبكات ونسق

الحركة وقطاع الإسكان والاهتمام بالنسيج العمراني وتصحيح مخلفات الثورة الصناعية في حق المدينة "
(لطرش، 2012).